



العلوم الإجتماعية بين الثوابت
والهوية وتنمية الأسرة

**Social sciences between constants,
identity and family development**

برزان ميسر حامد

الأستاذ الدكتور في كلية التربية للعلوم الانسانية بجامعة الموصل - العراق -

Barzan Mayser Hamed

Professor at the College of Education for Human Sciences

University of Mosul - Iraq

dr.barzan_78@yahoo.com

يعقوب حسن عبد

الأستاذ الدكتور في كلية التربية بالجامعة العراقية - العراق -

yacob Hassan Abed

Professor at College of Education

Al-Iraqiya University - Iraq



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملخص

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛ فإن الإنسان وهو من أكرم المخلوقات على الله - يأتي للحياة لغاية محددة وهدف معلوم، وله رسالة واضحة المعالم، وهو يولد بين أبوين في ظل أسرة ومجتمع، وهو مفطور على حب الاجتماع والعيش مع أصحابه وأقربائه وجيرانه، وهو في هذا الكون له حاجات ورغبات ومطالب، وعليه واجبات وله حقوق، وتتطلب الحياة في أخذها وعطاؤها تفاعل الأفراد مع الأسرة والمجتمع، وقيام أواصر المحبة والأخوة والتسامح، ومد جسور التعامل على كل المستويات العلمية والثقافية والتربوية. وتنمو هذه المعاني مع امتداد حياة الإنسان، وتتوثق الصلات أو تسوء حسب ظروف العيش ومستوى التعامل، ولهذا يقول علماء الاجتماع: إن الإنسان اجتماعي بطبعه، أي أنه مفطور على العيش في ظل جماعة وفي كنف أمة لا يستغنى عن غيره، والآخرون في حاجة إليه، ولا تتصور حياة سوية مستقيمة ومستقرة، إلا على هذا النحو وفي ذلك الإطار، والإنسان في اجتماعه مع غيره وتعامله في حياته تنشأ له صلات وعلاقات قد تسودها محبة الإخاء والتعاون، وقد

تتناول الدراسة العلوم الاجتماعية وأثرها بين الثوابت والهوية وتنمية الأسرة، فقد عرفت البشرية عبر تاريخها الطويل وفي مختلف مراحل تطور المجتمعات ألواناً من القواعد المنظمة للحياة البشرية التي تكون على شكل اعراف أو عادات وتقاليد، وقد تكون زعامة قاهرة تأمر وتطاع أو هيئات، أو جماعات أو تنظيمات شعبية، أو دساتير تصدرها فئة أو جماعة أو حكومة، إلى غير ذلك من ألوان القواعد والنظم التي يصدر فيها البشر عن اجتهاد يتلاءم مع حاجات المجتمع، في فترة زمنية معينة وفي ظروف خاصة، وتنفيذ هذه القواعد وتنظيم القوانين من فترة إلى أخرى، ولكنها في كل ذلك تصدر عن نشاط عقلي بشري يعتره القصور والضعف والجهل والهوى، وتؤثر فيه المطالب والحاجات والمصالح للفئة الغالبة على الأفراد والهيئات المغلوبة، ولذلك فإن هذه القواعد والنظم تأتي صورة عن الإنسان في قصوره وعجزه وجهله وأهوائه وتأثراته، وبالتالي فهو لا يحقق العدل ولا الأمن والاطمئنان للإنسان في الحياة.

* * *

يتعورها الخلل والاختلاف والبغض والتخاصم، وتختلف روابط الأفراد في المجتمعات في كل حين وفترة، قوة وضعفاً ووثاماً أو اختلافاً وتعاوناً أو تصادماً تبعاً للثقافة التي ينتمي إليها الفرد وتلتقي عليها الجماعة ومدى سلطان هذه الثقافة على النفوس، والاختلاف والتخاصم والنزاع تكاد تكون من لوازم الاجتماع، ولكن التفاوت إنما يكون في درجة الاختلاف فكانت حاجة الإنسان إلى ما ينظم حيات ما دام أن من لوازم الاجتماع تألف الأفراد تارة واختلاف بعضهم على بعض تارة أخرى؛ فإن الأسرة محتاجة إلى قواعد تنظم حياتها، وترجع إليها عند الاختلاف، وتحكمها فيما يشجر بينها. وقد عرفت البشرية عبر تاريخها الطويل وفي مختلف مراحل تطور المجتمعات ألواناً من هذه القواعد المنظمة للحياة البشرية التي تكون على شكل عادات أو تقاليد أو أعراف ومواصفات، وقد تكون زعامة قاهرة تأمر وتطاع أو هيئات، أو جماعات أو تنظيمات شعبية، أو دساتير تصدرها فئة أو جماعة أو حكومة، إلى غير ذلك من ألوان القواعد والنظم التي يصدر فيها البشر عن اجتهاد يتلاءم مع حاجات المجتمع، في فترة زمنية معينة وفي ظروف خاصة، وتنفيذ هذه القواعد وتنظيم القوانين من فترة إلى أخرى، ولكنها في كل ذلك تصدر عن نشاط عقلي بشري يعتوره القصور والضعف والجهل والهوى، وتؤثر فيه المطالب والحاجات والمصالح للفئة الغالبة على الأفراد والهيئات المغلوبة، ولذلك فإن

هذه القواعد والنظم تأتي صورة عن الإنسان في قصوره وعجزه وجهله وأهوائه وتأثيراته، وبالتالي فهو لا يحقق العدل ولا الأمن والاطمئنان للإنسان في الحياة، لذا اقتضت طبيعة البحث ان يقسم الى ثلاث مباحث تحدثنا في المبحث الاول: عن الأسرة بين العلوم الاجتماعية والخصوصية الثقافية، وجاء المبحث الثاني: لبيان العلوم الاجتماعية والفقرة الإنسانية. أما المبحث الثالث فقد خصصناه: للعلاقة بين الخطاب التربوي وتنمية الأسرة، واتبعنا البحث بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث. والحمد لله في البدء والختام.

* * *

ويحقق سعادته وأمنه، والإنسان محتاج إلى هداية الله ورعايته وتعريفه بربه وبنفسه، والغاية من وجوده وعلاقته بالكون والإنسان والحياة، وتحديد مركزه في الوجود ودوره في الاجتماع، وما يجوز له فعله وما لا يجوز، وبالتالي فهو مربوب موجه مأمور، من هنا لم يكن نصيب العلوم الاجتماعية بأحسن حالاً من العلوم التجريبية وهي ميدان هام وهام جداً في عملية الابتعاث الحضاري، فعلوم التاريخ والاجتماع والتربية والنفوس والسياسة الخ، هي من لوازم عملية الدعوة والبلاغ المبين وإعادة صياغة الإنسان وتشكيله، وإلا فكيف ندعو إلى الله ونرقي بالناس ونحن نعيش في عالم نجهل إنسانه ولا نمتلك الوسائل المدروسة لخطابه، والمعرفة الدقيقة لتاريخه ومعتقداته ولا ندرك خصائصه وكيونته البشرية؟! وإذا كان محل التكنولوجيا التي نتكلم عن ضرورة استنباتها، أو استيعابها، والإبداع فيها، هو وسائل الإنسان، فإن محل العلوم الاجتماعية هو الإنسان نفسه، الذي لا بد من إعادة بنائه وتشكيله أولاً، حيث لا فائدة لوجود العربية بدون الحصان. وإذا وجد الإنسان السوي، وجدت الحضارة. فالإنسان لا يُستورد. وما الفائدة إذ استوردنا أشياء الإنسان ووسائله، وخسرنا الإنسان نفسه، لذلك نرى أنه لا بد من إعادة النسخ الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ووصل ما انقطع وتوقف، واستشعار أهمية ذلك ودوره بالقدر نفسه الذي نبحت فيه

المبحث الأول الأسرة بين العلوم الاجتماعية والخصوصية الثقافية

إنّ الرسالات السماوية في حقيقتها ضرورة اجتماعية، تتوق إليها البشرية في مختلف العصور، إذ هي رحمة الله بخلقه، ومعالم الطريق المستقيم إليه، وعدله الذي تنسم البشرية في ظلها عبير الحرية، وتتفياً ظلال الأمن والعدل والسلام، ولذا جرت سنة الله في خلقه أن يبعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى توحيدهم وطاعته ومخافته في التعامل مع خلقه وقيم لهم شريعة عادلة كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ} (١) والطاغوت كل ذي طغيان على الله وهو كل ما تجاوز به العبد حده في عقيدته مع ربه أو جوره في حكمه أو ظلمه للخلق، والله هو خالق الخلق ومدبر الأمر ومربي البشر بألوان النعم و صنوف الفضل (٢)، تأبى حكمته أن يخلق خلقاً دون أن يهيئ له ما تتطلبه حياته الآمنة المستقرة ويوائم فطرته السليمة ويصلح شأنه

(١) سورة النحل، الآية : ٣٦ .

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان، تحقيق: شاکر: ٤١٩ / ٥ .

قضية العلوم التقنية أو يزيد^(١). وقد تكون المشكلة أن إنسان التخلف لا يبصر إلا أشياء الحضارة، ويصعب عليه إِبصار أفكارها. ونعقد أن تخلفنا في العلوم الاجتماعية اليوم لا يقل عن تخلفنا في العلوم التقنية، أن لم يكن أخطر، لذلك نرى أنه لا بد أن نعود لاستئناف البحث في العلوم الاجتماعية برؤية إسلامية، أو أن نعيد العلوم الاجتماعية إلى إطارها الإسلامي، أي لا بد أن تمتد المدرسة الخلدونية، وتستمر، وبذلك وحده نكون قادرين على إدراك قوانين التسخير، وميكانيكية عملها، والتفسير الحضاري لها، وخطورة أهداف ومنطلقات وحكمة تلك العلوم، ودورها الهام في تشكيل ثقافة الإنسان، وتأهيله للنهوض الحضاري من خلال رؤية إسلامية^(٢).

ومن مظاهر الوهن الحضاري: الخلط العجيب بين المبادئ والقيم الثابتة التي وردت في الكتاب والسنة وبين البرامج والأوعية الزمنية التي تعني الاجتهاد والنظر البشري في إنزال تلك المبادئ على حياة الناس بما يتوافق مع ظروف كل عصر وبيئة والظن بأن التأثم هو في الخروج على برامج واجتهادات السابقين لما لاءم عصرهم والأسرة هي الحلقة الأولى في المجتمع، وهي نواته الصغرى التي تقوم عليها كيانه، وأي خلل يصيب الأسرة ينعكس على المجتمع سلباً،

وأى صلاح وصواب يمس الأسرة يعود على المجتمع بالإيجاب، لذلك فتقدم مجتمع ما رهين بسلامة الأسرة فيه، وتخلف مجتمع ما وانحطاطه رهينان بفساد الأسرة فيه^(٣).

لقد اهتم الإسلام بـ«المجتمع» في أسرته، واهتم بالأسرة فيه، فقعد قوانينها وأرسى دعائمها على أسس مستقرة ثابتة ورصينة، وشرع الزواج كوسيلة لوجودها، واهتم به بأن جعل أصله ميثاقاً يربط جميع الأطراف، وحدد لهم حقوقاً وجعل عليهم واجبات، مرّ المجتمع ومرّت الأسرة معه بأدوار وأطوار تاريخية، يهمنا أن نقول عنها إنها كانت مشرقة، لكن اليوم وأمام التردّي الذي وقع فيه المسلمون، والتخلف الذي جنوه لأنفسهم، أمام هذا كله ينهار الإنسان يوماً بعد يوم، وتكثر التحديات ساعة بعد أخرى، وتتعدد الأزمت وتنفقم، لذلك أولينا العناية لهذه التحديات بصفاتها تحديات جارفة تمس الأسرة في جميع أطرافها: الأب والأم والطفل، بحثنا أنواعها وألوانها، أقسامها وتياراتها، عارضين لأعلامها وبنات حقلها، معرجين على أصولها ومصادرها، راصدين لمنهجها وطرق عملها، متوقفين عند الغايات التي تنشدها والمرامي والأهداف التي تقصدها، إنها تحديات خارجية وداخلية، حضارية وتربوية وقانونية، تتطلب يقظة شاملة

(١) موسوعة البحوث والمقالات العلمية لشحود: ١٤١ / ٥ .

(٢) موسوعة البحوث والمقالات العلمية لشحود لشحود:

١٤١ / ٥ .

(٣) موسوعة البحوث والمقالات العلمية لشحود لشحود:

١٤١ / ٥ .

ووعياً كاملاً، ولا يتحقق ذلك إلا بالاعتصام بالمقومات وبالمبادئ والأصول مع العمل المشترك الناجح والتربية الهادفة قال تعالى [وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ] (١) نعلم أن الأسرة مفهوم مشترك بين جميع الأطراف، الكل اليوم يتكلم عن اشكالية الأسرة : بأن وضع الأسرة غير طبيعي . حينما يكثر الكلام على قضية ما ويشتد ، فليعلم أن في القضية إشكالاً ما ؛ إما لها أو عليها. أو الموضوع المتكلم فيه هو خاصية مشتركة بين الجميع، خاصية موحدة على مستوى البحث والدرس والكلام، ومن ثم تتأكد أهمية الأسرة لدى الجميع . أو أصبحنا اليوم أمام موضوعين لا موضوع واحد، موضوع الأسرة كمجال للبحث، وهذا (الكلام) المتعدد والمثلون والذي أصبح هو في حد ذاته عائقاً أمام التوصل إلى نتيجة سليمة في موضوع (الأسرة) حين يتحول من موضوع إلى موضوعات بحثٍ ؛ تتضاعف الأزمة وتتركب . ليس من المهم عندنا على الأقل في هذا البحث الكلام عن الأخطار التي تهدد الأسرة في هوائها وأكلها وشربها وأثاثها ولباسها وأواني بيتها .. لكن المهم عندنا هو أن نبه إلى الأخطار التي تهددها في (إنسانها)، حيث يستل الإنسان منها لتُضْفَى عليه حلل جديدة من النعوت والأوصاف، يراد لهذه النعوت ومطامعها الخاصة، وأهدافها الخاصة التي تصوغ الإنسان على وفق مصالحها ومطامعها. ومن

والأوصاف أن تكون حقيقة، وأن تتجذر بقوة في الوعي وفي اللاوعي، ويتبع ذلك كله بتحليلات ودراسات وأبحاث بأرقام وقياسات رياضية وهندسية معززة بصورة ومزكاة من مناهج العلوم الإنسانية والطبيعية .. هذا كله ليصبح إنسان الوصف الجديد على استثناس كامل بما يُقدَّم له وعليه تأتي العلوم الاجتماعية لتتكلم عن الإنسان والمجتمع، ويتكلم الاقتصاديون عن إنسان المال والأعمال، ويتكلم السياسيون عن إنسان السياسة والدبلوماسية، ويتكلم الفلاسفة عن إنسان النظر والتأمل، ويتكلم الأدباء والشعراء عن إنسان الكلمة والخيال، ويتكلم الفنانون عن إنسان الإبداع والابتكار، وتتكلم العلوم الطبيعية عن الإنسان الطبيعي الذي هو جزء من الطبيعة كما يتكلم القانونيون عن إنسان الديمقراطية، والإداريون عن إنسان الإدارة والتسيير ... هكذا يجزأ الإنسان إلى أشلاء وأطراف لا رابطة بينها، وتبته خصوصيته وسط ركام من الكلام، قد يحقق هذا شيئاً حضارياً ما للإنسان، لكن أخطر ما يحققه له هو عدم إرجاع عنصر (الإنسانية) للإنسان أو توجيه الإنسان إلى إنسانيته . هذا كله لا يوجد فيه عيب من حيث المظهر، لكن العيب المركب حين تصاغ هذه النعوت والأوصاف بفلسفة من مرجعية غريبة، ومن أيديولوجية خارجية لها طموحاتها الخاصة، ومطامعها الخاصة، وأهدافها الخاصة التي تصوغ الإنسان على وفق مصالحها ومطامعها. ومن

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٩ .

المبادئ الإسلامية التي تصوغ الإنسان . قواعد حقوق الإنسان أصبحت ملزمة على كل من وقَّع عليها، وكما يقولون من وقَّع وقع، وجرى تطور في الفقه الدولي بما يخدم مصالح الدول الغربية الكبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الكبار، وأصبح لدى هذه الدول مصالح انتقائية وازدواجية تجاه الآخر، وأصبح التركيز على المجتمع الديمقراطي وعلى إنسان الديمقراطية و (حقوق الإنسان) أكثر فأكثر، وتجزأ ذلك، وأخذ أبعاداً أخرى ؛ من ذلك أنه اتخذ سلاحاً ضد كل محافظ على هويته، وكل عاق لهذا النموذج العالمي المتسلط، ولم يعد الكلام على النظر فيما يخالف المبادئ والخصوصية في غالبية كل بلد مسلم، بل انعكست الحالة إلى النظر فيما يتخالف مع القانون الدولي وما جرى التوقيع عليه، فما خالف هذه القوانين يجب تعديله أو تغييره أو تحويله ... وما يوجد اليوم من هزات في ثوابت المجتمع، مثل التعليم والتربية والتكوين وحقوق الإنسان دليل حي على ما نقول هكذا استلَّ الإنسان من الأسرة ؛ ليصبح إنسان (المؤسسات) ! يستأنس بالمؤسسة العسكرية كانت أو مدنية ... هكذا أريد له أن يُعزل عن خليته ليصاغ صياغة جديدة، ويُربى تربية أخرى، ويُوجَّه توجيهاً آخر، وقد نجحت الدولة الوطنية في العالم الإسلامي في إضعاف دور الأسرة في مجال بناء الإنسان لتتولى المؤسسات بناءه ؛ بما يتوافق مع رغبات

الحاكم وتطلعات الحضارة المعاصرة، وهذا كله يتمشى مع مصالح الدول العظمى ... آن الأوان لأن نتكلم عن إنسان الأسرة ... وأن الأوان أن نتحدث إلى إنسان الإسلام ليكون إنسان الأسرة أولاً، مخلصاً لتربيتها وتوجيهها وفيماً لمصالحها ومطامحها ؛ لأنه من الأسرة يكون المجتمع، ومن المجتمع تكون الدولة، ومن الدولة تنشأ المؤسسات .. ولا معنى لنقل الإنسان هذه النقلة العشوائية. إذا تكلمنا عن (إنسان الأسرة)؛ فلا يعني هذا الوقوع في متاهات الكلام السطحي المجرد، بل يعني الكلام عن الأسرة كما أرادها الإسلام للإنسان، لا الأسرة التي يريدتها (النظام الدولي الجديد) منة هنا لا بد ان يتحتمن المجتمع الإسلامي من الأمراض الشياء الكثير، ولكي يكون البناء سليماً ينبغي بيان هذه الأمراض، وبيان الوسائل المؤدية إليها، ومن ثمَّ العمل على علاجها، وأقوى هذه الأمراض هي في الناحية المعرفية والإنتاجية، ووسائلها هي العلوم والمعارف؛ بما فيها العلوم التي يطلق عليها (العلوم الإنسانية)، والأخرى التي تنعت بـ(العلوم الطبيعية)، وقد جلب كل هذا تحت وابل من الشعارات الكاسحة باسم العلم والتطور والتقدم والعصرنة، وباسم الاندماج في العولمة وفي النظام الدولي الجديد . ويبدأ التحدي الكبير بالنسبة للأسرة المسلمة في الكلام عن قانونها وأحوالها الشخصية . وبما أن هذا القانون مستمد من الفقه الإسلامي، كان التوقف عند الشريعة

الإسلامية طويلاً، فقد وُجِّهت إليها مناهج
عصرية تستخدم أدوات جديدة في الفهم
تتماشى مع طبيعة التفكير الغربي وطموحاته
الاستعمارية ورغباته الاستغلالية المدمرة لكل
كيان محترم، وهكذا بدأت أول حملة على
شريعة الإسلام على يد جماعة من الباحثين
الأكاديميين أوجدتهم الدول الوطنية في الغرب
لغرض فهم الآخر وتقريبه، وفي مرحلة أخرى
للتشويش عليه وتشويه صورته، هؤلاء هم الذين
أطلقوا عليهم صفة (مستشرقين)، كان أول ما
فعلوه هو التشويش على مصادر الشريعة: القرآن
والسنة، فالقرآن عندهم هو كلام بشري لا إلهي،
والسنة النبوية لا قدسية لها لا في التشريع ولا في
العبادة. وهكذا جنّدوا أنفسهم لدراسات مدخولة
عن الأحكام الشرعية، واختلفت أبحاثهم كما
وكيفاً، فمنهم من باشر موضوع الأسرة وأحوالها
في دراسة مستقلة، ومنهم من تكلم عليها في
سياق أبحاثه عن الفقه الإسلامي بصفة عامة،
كما اختلفوا من جهة الأحكام فمنهم من بالغ
في النسف وتشدد في الحكم، ومنهم من اعتدل
وتوسط، نذكر من ألمانيا «جوزيف
شاخ» (schacht Joseph) (١٩٠٢ - ١٩٦٩)،
الذي اهتم في إنتاجه بالفقه الإسلامي؛ بتحقيق
عدة نصوص والتعليق عليها، وبخصوص الأسرة
في الإسلام نشر مقالات كثيرة في الميراث
والنكاح والطلاق وأم الوليد والوصية، وكلها كانت
في سنة ١٩١٤ م. وجاء بعده (إروين كريف)

(Grof Erwin) (١٩١٤ - ١٩٧٦)، وهذا
المستشرق كان اهتمامه بالفقه الإسلامي بصفة
عامة، فله بحوث عن الأسرة المسلمة، نذكر
منها البحث الذي أصدره بعنوان: «المنظرة
الجديدة إلى الأسرة المسلمة في التشريع الإيراني
الحديث الخاص بالزواج والطلاق والميراث». .
وهذا البحث نشره عام ١٩٦٦ م، رام فيه التوسط
تارة والانحراف تارة أخرى. وذلك حين تساءل
قائلاً: «كيف يمكن أن يقوم تصور للأسرة
المسلمة الحديثة؟» فأجاب «إذا كان للمسلم
أن يبقى على هويته؛ فلا ينبغي له أن يتحرر من
المصادر الفقهية الشرعية، إن الشريعة الإسلامية
ليست قوة معادية للحياة، بل ينبغي اكتشافها
من جديد لمواجهة الحياة الجديدة، وأن تتكيف
بواسطة التأويل وقياس النظرير». وفي سنة ١٩٦٧ م
أصدر بحثاً آخر تحدث فيه عن تنظيم النسل
وتحديده من منظور الشريعة الإسلامية، سمّاه:
«موقف الشريعة الإسلامية من تنظيم النسل
وتحديد النسل ومن فرنسا نذكر «ليون برشي»
(Bercher Lion)، (١٨٨٩ - ١٩٥٥ م)، الذي ترجم
كتاب (الرسالة) لابن أبي زيد القيرواني، وعلق
عليها باللغة الفرنسية، وكان تركيزه على أحكام
الأسرة وأحوالها متميزاً جداً. ومن إنجلترا نذكر
«وليام جونز» (١٧٤٦ - ١٩٧٤ م)، وهو مستشرق
بريطاني وفقهه قانوني، مكّنه فضوله العلمي
وتوجيهه الاستشراقي إلى إنجاز كتابين؛ أحدهما
بحث فيه نظام الموارث في الإسلام، عنونه بـ

العنوان، إنه بحث استعماري يحول الهند من الإسلام إلى هولندا، ولكي تتحول لا بد من معرفة سردخول فقه الإمام الشافعي إلى هذا البلد، ومقاصد الرسالة الثانية لا تتعد كثيراً عن هذا المغزى، لقد جاءت بعنوان : «الارتباط التاريخي بين المهر في الإسلام وبين الطابع القانوني للزواج في الجاهلية»، طبعت هذه الرسالة في ليدن عند الناشر بريل سنة ١٩٨٤م في ٩٦ صفحة باللغة الهولندية. فالبحث عن قرائن الزواج وأماراته بين ما كان عليه في الجاهلية وما عليه الحال في الإسلام ؛ يجعلهم يُصدرون أحكاماً على قانون الأسرة المسلمة وقانون أحوالها الشخصية ؛ بأن طابعها مأخوذ من العصر الجاهلي ومن التشريعات السابقة : « بدوي ٢٥٢ - ٢٥٣ » وبعد ؛ فإننا نسلم بأن العالم أصبح قرية صغيرة لا يمكن للأسرة فيه أن تعيش منكمشة على نفسها، ومنعزلة عن المحيط من حولها، لكن ما لا يمكن التسليم به هو أن نفتح أبواب بيوت المسلمين لسلبات الحضارة الغربية ومدمراتها، ولا تعني المحافظة على البناء العام للأسرة تزمناً ولا يعني انغلاقاً، فلا بد من التمييز بين ما هو ضروري لحياة الأسرة وفق خصوصياتها الثابتة، وما هو أساس وحيوي من مستجدات الحياة الحديثة، والوعي بهذه الشروط يجعل الأسرة تعمل بإيجابية في المحيط الخاص وفي المحيط الدولي العام، كما أن احتكاكها الواعي من شأنه أن ينمي أساليب جهادها في هذا

«المواريث في الشريعة الإسلامية»، وهذا البحث أنجزه عام ١٧٨٢م ونشره عام ١٧٩٢م، ونشر ترجمة لموجز في المواريث بحسب مذهب الشافعي، عنوانه بـ «بغية الباحث عن جُمل المواريث» ومن هولندا نذكر «تيودور يونبول» (١٨٦٦ - ١٩٤٨م)، الذي أصدر كتاباً بعنوان : «المدخل إلى معرفة الشريعة الإسلامية بحسب مذهب الشافعي» صدرت الطبعة الأولى منذ سنة ١٩٠٣م، والطبعة الرابعة سنة ١٩٢٥م، وهذا الكتاب ترجمه «أرترشاده» (ArturSchaade) إلى اللغة الألمانية عن أصله الهولندية وقد استند فيه إلى منهج «إسناوك هرخرونييه» (Hurgyonje Snoock Christian) ١٨٥٧ - ١٩٣٦م، المستشرق الحقوقي والقانوني المشهور، فقدّم عرضاً نقدياً لمصادر التشريع الإسلامي، ثم عرض خصائص التشريع الإسلامي موزعة على أبواب كثيرة، نذكر منها ما له صلة بأحكام الأسرة المسلمة ؛ مثل قانون الأشخاص والأحوال والمواريث . و «تيودور يونبول» هو تلميذ للمستشرق الهولندي المشهور «دي خويه» (١٨٣٦ - ١٩٠٩م). لقد حصل «يونبول» على شهادة الدكتوراه في قسم الاستشراق برسالتين لا بد من الإشارة إليهما في هذا السياق، الرسالة الأولى بعنوان : «القواعد العامة لمذهب الشافعي في الرهن، مع بحث عن نشأته وتأثيره في الهند الهولندية»، صدرت هذه الرسالة عام ١٨٩٣م، والمقصد واضح من

العالم، هذا إذا كانت تعلم أنها النواة الصلبة للمجتمع الإنساني كله، وأن خيرها يتعدها لا إلى المسلمين فحسب؛ بل إلى الإنسانية كلها. زيهر: ٥ و ١٤ وكانت الرسائل السماوية ضرورة اجتماعية، تتوق إليها البشرية في مختلف العصور، إذ هي رحمة الله بخلقه، ومعالم الطريق المستقيم إليه، وعدله الذي تنسم البشرية في ظلها عبير الحرية، وتتفياً ظلال الأمن والعدل والسلام، ولذا جرت سنة الله في خلقه أن يبعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى توحيده وطاعته ومخافته في التعامل مع خلقه وقيم لهم شريعة عادلة كما قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }^(١)، والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده في عقيدته مع ربه أو جوره في حكمه أو ظلمه للخلق، والله هو خالق الخلق ومدير الأمر ومربي البشر بألوان النعم وصنوف الفضل، تأبى حكمته أن يخلق خلقا دون أن يهيئ له ما تتطلبه حياته الآمنة المستقرة ويوائم فطرته السليمة ويصلح شأنه ويحقق سعادته وأمنه، والإنسان محتاج إلى هداية الله ورعايته وتعريفه بربه وبنفسه، والغاية من وجوده وعلاقته بالكون والإنسان والحياة، وتحديد مركزه في الوجود ودوره في الاجتماع، وما يجوز له فعله وما لا يجوز، وبالتالي فهو مربوب موجه مأمور إن ختم

الرسالات بهذه الرسالة ونسخ رسالات الأنبياء من قبله بها يستلزم أن تكون هذه الشريعة وافية بمتطلبات الحياة كلها. ومن لم يؤمن بهذه الحقيقة فإنه يلزم من كلامه أن هذا الدين جاء بالضيق والحرَج والجور وهو ما لا يقول به مسلم، ومضاد لقول الله تعالى: { وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ }^(٢)، وكما جاءت الشريعة الإسلامية عامة لكل البشر على اختلاف أجناسهم، لا فضل فيها لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فإنها كذلك رسالة شاملة لكل جوانب الحياة ومناحي الاجتماع لم تترك شاردة ولا واردة إلا ذكرت فيها خبرا أو شملتها حكما أو كانت مندرجة تحت أصل أو قاعدة. فقد تناولت تحديد الغاية من خلق الإنسان ووظيفته في الحياة ومركزه فيها.

* * *

(٢) سورة الحج الآية: ٧٨.

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

لذلك يبقى التاريخ الطويل هو محل الرؤية والاستقراء والاستنتاج لمثل هذه القوانين، التي تحكم الحركة البشرية عموماً، فكم من الأجيال سقطت فريسة للظلم والاستبداد السياسي وفتن الناس بها، وامتد زمانها، ريثما تحضرت القابليات للتغيير، والدلالة على أن الظلم مهما امتد فسوف يؤذن بخراب البلدان وال عمران، وقد حكى الله قصة ذلك في قوله: [حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين] (٢). وقال تعالى [وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْفِسِينَ] (٣). في وقت يمر فيه العالم بمرحلة حرجة من التغيير الاقتصادي، والنمو السكاني، والصراعات المسلحة وموازنة القوى والأمن الوطني (في إطار تقليدي من التفكير) وعدم الاستقرار... من جهة، والنمو التحويلي السريع والتدهور البيئي، والطفرات التقنية العالية، وارتفاع في درجة الحرارة العالمية من جهة أخرى.

أضف إلى ذلك أن القرن العشرين يودّعنا ونحن نستقبل الآن القرن الحادي والعشرين؛ حيث تتوقع البشرية أن تعيش تغيرات هائلة

المبحث الثاني العلوم الاجتماعية والفطرة الإنسانية

أما العلوم الاجتماعية والإنسانية فلا يمكن أن تخضع للقوانين نفسها، لا من حيث الزمن ولا من حيث المواصفات والخصائص، ولا من حيث النتائج، لأن موضوعها ومادتها وأداتها الإنسان نفسه، الذي يملك الحرية والإرادة والقدرة على الكمون والتشكل، لذلك تبقى عصية عن الضبط والتحكم، لأنها لا تخضع للنتائج القريبة، وإنما تخضع للعواقب والتداعيات المركبة والمعقدة بعيدة المدى، ولأن الإنسان بكل مكوناته هو موضوع العلم وهو وسيلته وأداة البحث فيه - كما أسلفنا - لذلك فإن اكتشاف سنن وقوانين الاجتماع والسقوط والنهوض والدورات الحضارية، يبقى عصياً عن الإدراك، من خلال جيل أو حاضر أو حدث، لأنه لا يمكن اختزال حياة الإنسان الخاضعة لأكثر من عامل في وقت واحد أو حدث واحد، فقد تستوعب مقدماته جيلاً أو جيلين، إلى درجة قد يظن الإنسان معها أن الأمر لا ضابط له، حتى تظهر نتائجه أو عواقبه في الجيل الثالث أو الرابع (١).

(١) موسوعة البحوث والمقالات العلمية لشحود لشحود: ١١٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١٠.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٧.

العلمي وعدم القناعة بأنه هو العلاج لأمراض الإنسانية إننا إذا أجرينا تحليلاً دقيقاً لمفهوم الطرق (العلمية) في إطار الإنسانية فربما نصل مباشرة إلى (التجريبية المنطقية والإيجابية) كما أن التعريف القياسي للطريقة العلمية التقليدية توضح أسسها الإيجابية التجريبية، والطريقة العلمية كما يعرفها (ثيرودورسان) هي : (بناء جسم من المعرفة العلمية من خلال الملاحظة والتجربة والعموميات والتحقق). ودون الدخول إلى تفاصيل الانحيازات وتحديد (الطريقة العلمية) (التجريبية المنطقية) و (الإيجابية) فيمكن أن يقال : إنها تتجاهل وتقصي نهائياً جميع المصادر الأخرى للحصول على المعرفة وامتلاكها، وبالأخص الوحي وهكذا يبدو أن هناك اتفاقاً عاماً اليوم على أن ظهور ذلك التقليد المنحاز من الإيجابية والتجريبية بتركيزها ذي العقلية الأحادية على تجربة الحس الإنساني، كان هو الثمرة المرة لذلك الصراع بين الكنيسة والعلم أثناء ما يسمى بعصر النهضة وحركة التنوير الفلسفية، وفيما صمّم العلماء على الانعتاق من سلطة الكنيسة مهما كلف الأمر فقد كان يبدو أنهم قرروا (إلقاء الجنين الوليد مع ماء الغسيل وكان من المؤسف أن العلماء الاجتماعيين أيضاً تبنا ما يعرف بـ (الطريقة العلمية) عند دراستهم للإنسانية ويكفي أن نورد تعدد أساليب العلوم الطبيعية الوسائل الوحيدة الدقيقة للحصول على المعرفة ؛ لذا ينبغي أن تقتصر العلوم الاجتماعية

في التقنية وتحوّل أعداد كبيرة من اللاجئيين الاقتصاديين من المناطق الفقيرة في العالم إلى المناطق الغنية ؛ فالعالم في مفترق طرق حيث يمكن أن تسيطر الفوضى وتنقسم عرى الأخوة ولا يسود العدل في المجتمع.

إذن : فإن عبء التحديات والمسؤوليات يقع على كاهل العلماء الاجتماعيين عموماً والمسلمين منهم على وجه أخص ؛ وحتى نتمكن من الاستيعاب الجيد للوضع فإننا نعرضه في ثلاثة أقسام : نستعرض في القسم الأول تقويماً من منظور تاريخي، وفي القسم الثاني : نتناول بعض المتغيرات التي يحتمل أن تحدث في المستقبل، أمّا في المرحلة الأخيرة : فإننا نحاول تقديم بعض البدائل . مما لا شك فيه اليوم : أن العلوم الحديثة جزء لا يتجزأ من الحضارة الأوروبية (والطريقة الغربية في الحياة)، وهي تعكس أخطاءها وكذلك فضائلها، إن أي معالجة للطريقة في العلوم كما يقول (جود قلتريغ) (١٩٧٧م) (دون الرجوع للهيكل الاجتماعي الذي يشكل الأساس، إنما هو خطأ وديكتاتورية...). وقد أصاب (بيرقن) (١٩٨٠م) حين قال : «لقد فقد العلم سلطته السابقة كمصدر مسيطر على الحقيقة»، وينعكس هذا التغيير على التحليل الذي يوضح العلم كشكل ثقافي محسوس وقيمة ناقلة ؛ وعلى الرغم من وجود قناعة بأهمية الأسلوب العلمي إلا أن هناك خداعاً عاماً من حيث الطريقة التي استخدم بها هذا الأسلوب

على استخدام هذه الأساليب وتقتدي بالعلوم الطبيعية). لا أحد ينكر الأثر العميق للأسلوب (العلمي) على العلوم الاجتماعية، وقد استخدمت (أساليب البحث وتعميماته مما يعكس الادعاءات المتكررة نفسها وادعاءات نظرية المعرفة كل هذا قد جرى دون توجيه نقد حقيقي؛ فقد اختلف موضوع مسألة العلوم الاجتماعية بطريقة متميزة جداً عن العلوم الطبيعية)، وقد كانت التأثيرات موهنة للغاية ولسنا بحاجة إلى الاستمرار في توثيق إخفاق العلوم السلوكية والاجتماعية في فهم الإنسانية وتقويم سلوكياتها؛ لأن ذلك موثق جيداً ومعروف، وهناك نقد يوجه الآن نحو الربط بين هذه لإخفاقات؛ وفائدة تلك النظرة العتيقة للعالم والعلوم التي لا تزال تهيمن على العلوم الاجتماعية وقد قال (هوارد) في ذكاء لمام: (إذا امتلك الإنسان خصائص تختلف عن خصائص موضوع المسألة التي تدرس بواسطة العلوم الأخرى فعندها ربما تكون العلوم الملائمة بحاجة لأن تكون مختلفة إلى حد ما عن العلوم الموجودة الآن. ومن المفيد أن نذكر هنا أن الطفرة في الفيزياء وعلوم الأعصاب وعلم الكونيات وعلم النفس تؤثر في نشاط علماء الاجتماع أيضاً؛ وذلك في تغيير نموذجهم نحو ثقافتنا ومعرفتنا، يقول (كابري) (١٩٨٢): لقد تسببت التغييرات المثيرة في المفاهيم والآراء التي حدثت في الفيزياء وفي نظرياتنا المعاصرة للمادة، في إحداث تغيير

ملحوظ في رؤيتنا العالمية من الميكانيكية إلى رؤية روحانية وبيئية، وبقدر كبير من التبصر نحو طبيعة المادة وعلاقتها بالعقل الإنساني... وقد أجابنا رؤية العالم بالفيزياء الحديثة التي تتناقض مع مجتمعنا الحاضر. وسوف تكون هناك حاجة لشكل اجتماعي واقتصادي يختلف جوهرياً: ثورة ثقافية بالمعنى الحقيقي للكلمة. لا يسعنا المكان ولا الزمان للاستمرار في مدح التقدم المدهش الذي يحدث في مجال الفيزياء وغيرها من العلوم، فنحن نحتاج هنا لأن نتوقف لحظة لتلخيص التحليلات السابقة؛ فمن الواضح أننا نلج إلى عصر ما بعد الإيجابية في العلوم الاجتماعية، وإن النموذج الجديد يضع اعتباراً للدور المهم الذي تلعبه الظواهر الإدراكية وغيرها من الوعي الداخلي في تحديد السلوك الإنساني؛ وبهذا نجد أن: (التجريبية في مكانها الصحيح؛ بمعنى أنها واحدة من أساليب كثيرة للمعرفة). إننا على قناعة بأن العوامل الروحية والبصيرة الدينية فوق كل ذلك ولها موقع مهم تستحقه في المؤسسة العلمية، وسوف نتناول ذلك في القسم الأخير. نحن لا نهدف إلى الخوض في تفاصيل النمو السكاني والتطور التقني المتسارع، والطفرة في وسائل الاتصالات وفي الأموال، وظهور المؤسسات متعددة الجنسيات، والصراعات العسكرية وعدم الأمان، والتطور المذهل في التقنية الحيوية وفي تقنيات الإنسان الآلي، والطفرة الصناعية الحديثة والمخاطر التي تهدد

البيئة الطبيعية، والتهديد الكبير غير العسكري للسلامة ولشعوب هذا الكوكب، ولكننا على كل حال قد نشير إلى بعض التغييرات في مجال الانفجار الديموغرافي والتطور التكنولوجي والطفرة المالية وظهور المؤسسات متعددة الجنسيات وغيرها في مقابل العدالة الإنسانية والاستقرار. هناك جدل حول مسألة زيادة السكان وتبديد الموارد بالمعدل نفسه حول العالم. ويختلف الناس بأعراقهم ومجموعاتهم في أساليب الحياة؛ وذلك كله مجتمعاً يتسبب في مسألة شائكة ذات صلة بالسياسة العالمية والمحلية والنسيج الاجتماعي وسياسات الغذاء والطاقة والهجرة. ودون الدخول في تفاصيل ما سبق فلننظر إلى الحقيقة المؤلمة وهي أنه بحلول عام ٢٠٢٥م و٢٠٥٠م ربما يصل تعداد سكان العالم إلى ٥.٠٨ أو ٥.٠٩ بليون نسمة على التوالي وهو أمر مرعب من منظور تاريخي، فقبل عام ١٩٢٥م كان تعداد سكان العالم بليونين؛ ولكنه تضاعف عام ١٩٧٥م إلى ٤ بلايين، وفي عام ١٩٩٠م وصل التعداد إلى ٥.٣ بلايين نسمة^(١).

وعلى الرغم من انخفاض النمو السكاني في البلدان النامية وركوده وانخفاضه الحاد في بعض البلدان المتقدمة إلا أن عدد السكان الهائل سوف يتزايد على ظهر هذا الكوكب. ويرى معهد (مالثوزيان) للاقتصاديين والديموغرافيين وعلى الرغم من انخفاض النمو السكاني في البلدان النامية وركوده وانخفاضه الحاد في بعض البلدان المتقدمة إلا أن عدد السكان الهائل سوف يتزايد على ظهر هذا الكوكب. ويرى معهد (مالثوزيان) للاقتصاديين والديموغرافيين وعلى الرغم من انخفاض النمو السكاني في البلدان النامية وركوده وانخفاضه الحاد في بعض البلدان المتقدمة إلا أن عدد السكان الهائل سوف يتزايد على ظهر هذا الكوكب. ويرى معهد (مالثوزيان) للاقتصاديين والديموغرافيين

(١) الإيكونومست ٢٠/١/١٩٩٠م، ص ٩٠.

النامية ؛ ونتيجة لذلك وبعد حوالي خمسين سنة من النمو الاقتصادي العالمي الذي ليس له مثل : يستقبل العالم القرن الحادي والعشرين بأكثر من بليون شخص يعيشون في حالة الفقر وهو رقم مخيف ؛ خاصة إذا اتضح أن هذا البليون يكابد ليبقى على قيد الحياة بأقل من (٣٧٠) دولاراً في السنة . إن هذا السعي نحو الرخاء العالمي قد حدث في الوقت نفسه الذي ظهرت فيه الشركات الكبيرة ذات الجنسيات المتعددة وتفاعل معها وهي التي لا صلة لها بمصالح أو قيم بلدانها الأصلية، وحيث إنها تتنافس مع غريماتها المماثلة لها في الحصول على النصيب الأوفر من السوق العالمية ؛ فقد ابتدعوا استراتيجية لتوجيه الاستثمار والإنتاج من مكان إلى مكان آخر في العالم ؛ وقد ساعدها على ذلك تلك الطفرة الهائلة في وسائل الاتصال والتقنيات المالية التي وفرت سوقاً عالمية للبضائع والخدمات . إن التحرر المالي لم يكتف بتوسيع التجارة العالمية بل فتح أيضاً مجالاً للاستثمار المباشر في التصنيع والخدمات من خلال التخصيص في عملة معينة أوفي أدوات مالية أخرى، إن هذا الاندفاع في تدفق رؤوس الأموال العالمية يقود إلى الظهور شيئين : إعادة ترتيب الأسواق المالية العالمية، وطفرة هائلة في الاتصالات العالمية نتيجة للتقنيات، وبدون الزيادة الهائلة في طاقات الكمبيوتر وبرامجه، والأقمار الصناعية والبصريات العصبية والكابلات والناقلات الإلكترونية عالية السرعة والأسواق العالمية ؛ فلم

يمكن من الممكن أن تعمل في وحدة اقتصادية واحدة، كما أن المعلومات والسياسة والأفكار والتقدم الهائل الثقافي وتوجهات الاستهلاك لم يكن من الممكن توفيرها فوراً لما يزيد على ٢٠٠ مؤشراً متصلة كلها بنظام الاتصال العالمي، وكل هذا حسب بعض آراء العلماء ربما يكون فقط المرحلة الأولى . ولا تكتفي المؤسسات متعددة الجنسيات بتمتعها بالمعايير الاقتصادية ؛ ولكن مؤسسها أيضاً يضعون الحماية لأنفسهم من التقلبات غير المتوقعة للعملة ومختلف أشكال النمو الاقتصادي والتدخلات السياسية، ولن يهتم أي نوع من الركود الاقتصادي أو تراجع معدلاته، والشركة التي ترغب الاستثمار في بضائع محظورة ببعض البيروقراطيات (خاصة في الصناعات البيوكيميائية) تستطيع أن تتحول صناعتها إلى جزء آخر من العالم لا توجد فيه مثل هذه القوانين، والمؤسسة متعددة الجنسيات التي تقلق من الرقابة التطوعية التي تفرضها الحكومات لحماية الشركات المحلية من المنافسة المفتوحة تستطيع دوماً أن تدور حول تلك الموانع وأن تضع مشروعات داخل تلك المنطقة المحمية، وعندما يجدون ثغرة في المعوقات التي يضعها المخططون فإنهم في الأغلب يجدون فرصاً طيبة للربح، على الأقل في السنوات الأولى للسوق التي استطاعوا دخولها حديثاً^(١) .

(١) الاقتصاد العالمي لـ الفريد ايكس، ص ٨١ .

المبحث الثالث الخطاب التربوي وتنمية الأسرة

إنّ الأصل في الخطاب التربوي على اختلاف وسائله وأدواته أن يقدم للأسرة المعلومات النافعة، والحقائق الثابتة، والأخبار الصحيحة، ليكون بذلك أداة توجيه وبناء، ومصدر معلومات موثوقة، ويحصل ذلك من خلال الإعلام فهو وسيلة لتقارب الأفكار وإصدار التوجهات التربوية للأسرة كونها اصغر وحدة في المجتمع، ولكن أدوات الإعلام اليوم أداة من أدوات الصراع الثقافي بين الأمم. وأحياناً تكون صلة الإعلام بقضايا الفكر المنحرف، فتظهر من خلال ما يصدر عن بعض وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية من مقالات صحفية وندوات ثقافية، أو مسلسلات ومسرحيات تهزأ بالدين والأسرة، ودَلَّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ الْإِسْتِهْزَاءَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَبِشَيْءٍ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ كُفْرٌ فَاعِلِهِ^(٢)، وتسخر من القيم الإسلامية، ومن بعض الأحكام الشرعية، والقيم المبادئ الإسلامية الثابتة، وأن أروع القيم الحضارية وأنبى المشاعر الإنسانية تتمثل في سيرة نبينا الكريم المثل الأعلى للأسرة المسلمة، وقد دل على ذلك حقائق التاريخ ومقررات الشريعة^(٣).

لقد اشتهرت العالمية كثيراً ولكنها في الحقيقة ذات آثار عكسية على المصلحة الوطنية والسوق المحلية وعمل العمال والمحليات التي تنكمش فيها العمالة الماهرة. ومن الواضح أن الطفرة في علم التقنية الحيوية تتضمن احتمالاً لإعادة توزيع أماكن إنتاج المحاصيل الزراعية (أو بدائلها) خارج العالم النامي؛ مما يتسبب في تدهور الموقف التجاري والدخول في ديون، والاعتماد بشكل عام على الأقطار لغنية، وهكذا فإن من غير الواضح مدى استطاعة المجتمعات العالمية على معالجة النتائج الاقتصادية والاجتماعية ذات الحجم الكبير عندما تتحول إلى الزراعة بالتقنية الحيوية وكذلك معالجة الأغذية^(١).

ولنوجز هذا القسم في أن الانفجار الديموغرافي مع التطور السريع في التقنية في مجالات الاتصالات والمؤسسات المالية والمستوى الراقي للتقنية في مجال الزراعة من خلال التقنية الحيوية واستخدام الآلات سوف يتسبب في مشكلة خطيرة لبقاء الجنس البشري. إن البطالة والوظائف والنسيج الأخلاقي مسؤوليتنا؛ وواجبنا أن نتناول هذه القضايا بالمناقشة والبحث حتى نجد لها الحلول.

* * *

(٢) أحكام القرآن للجصاص، تحقيق: قمحاوي: ٤ / ٣٤٩.

(٣) أروع القيم الحضارية في سيرة خير البرية لصمب، ص ٣٩.

(١) الاقتصاد العالمي ل الفريد ايكس، ص ٨٩ - ٩٣.

والإعلام بهذا السلوك يستثير مشاعر الناس، ويؤجج بواعث الغضب في نفوسهم، حمية لدينهم، وانتصاراً لقيمهم الإسلامية والواجب أن يقف الإعلام في ظل هذا الدين القويم وتبقى مسؤولية الإعلام هي بث روح التضامن والحق إن من أهم وظائف الإعلام تنوير العقول وتهذيب النفوس في ضوء تعاليم الإسلام^(١).

ولعل الهدف الأسمى للإعلام هو توحيد الأمة فكراً وسلوكاً وولاء وإيجاد التعارف والتآلف بين أبنائها، والإصرار على معاني الأخوة والتراحم والتواد بين أفرادها، عند حدود رسالته وقيمه ومبادئه، وهي مصدر خير وإشعاع ونور، ومنبر دعوة للقيم والفضائل، لا يقدم من خلاله إلا ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، وأن تكون الكلمة فيه مثمرة لا مدمرة، ليسهم مع غيره من مؤسسات التربية والتعليم وغيرها في تربية الأمة، وبناء الأجيال، وغرس القيم والمبادئ والمفاهيم الإيجابية. فالأمة اليوم بأمس الحاجة إلى الكلمة الطيبة، وبهذه الكلمة السميحة السهلة... ثم إنها بعد هذا كفيلاً بأن تفعل فعلها في كيان الإنسان، وتؤتي ثمراتها الطيبة المباركة كل حين^(٢) إنها هي الكلمة الطيبة التي أشار إليها الله سبحانه وتعالى في قوله: [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ

تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا]^(٣) وتبقى الدعوة الصادقة، والمشورة الناصحة، يجتمع صفهما، وتتحد كلمتهما، ان وسائل الإعلام لها دور لا يستهان به في تغذية أو دعم أو ظهور الصورة الجميلة للقيم الإسلامية والخطاب التربوي عن طريق ما يقدمه من برامج وأفلام وأخبار وأساليب للإخبار عن الأحداث أو تركيبها وعن الأشخاص وسيط مشارك لدى عديد من الدول ومن وسائل الإعلام الحديثة التلفاز أو القنوات الفضائية التي في أغلبها تنتهج منهج التطرف فإما الاستهتار بالعقول والشعائر الدينية والأخلاقية، أو زرع الفتن وإثارتها من خلال بعض البرامج أو الأفكار والتهويل والتضخيم، ولو كان تناول القضايا والموضوعات وحتى التحليلات تناولا إيمانيا يقوم على التعامل مع الحقائق والاستناد إليها في التفسير والتحليل، والتعليق وغيره، والمعاشة الحية للأحداث والتحري والتثبت من الأخبار وروايتها... ومراعاة الحالة النفسية المهيأة لدى المستقبل، وظروف الزمان والمكان، لكان التأثير إيجابيا بل ولحدت من الآثار السلبية من حيث كونها سلاحا ذا حدين. وتعد شبكة المعلومات الدولية الإنترنت اليوم من الوسائط القوية الأثر في المجتمع، ان الاستفادة من وسائل الإعلام الصوتية والمرئية في إعداد برامج تناسب جميع فئات المجتمع وتوضح لهم كيفية ترسيخ وتثبيت

(١) دور الإعلام في التضامن الإسلامي لإمام، ص ٢٦٧.

(٢) الخلاصة في الشمائل المحمدية لشحود، ص ٢٦.

(٣) سورة ابراهيم، الايات: ٢٤-٢٥.

ولتحقيق التمكين الاجتماعي هو التأكيد علي تأثير البيئة الاجتماعية و العوامل الثقافية علي الطريقة التي يستخدم بها الفرد قدراته واستعداداته كما قال الشاعر^(٣) :

ولم أر في عيوب الناس عيباً

كنقص القادرين على التمام

إن بناء الأسرة لتكون قادرة على التمييز والنظر من أصعب الصناعات التربوية، ولكنها في الوقت ذاته من أهم الصناعات . ومهما كثرت الضغوط وتزايدت علينا المحن، وتكالب عليها الأعداء، وتشعبت بنا دروب العمل، فيجب أن يكون الفرد والأسرة في المجتمع العراقي من أولويات البناء والتكوين حتى نضمن بفضل الله تعالى بقاءنا وصلابتنا من جهة، وسلامتنا من جهة أخرى . والحقيقة إن غياب المنهج العلمي، وفقدان الضوابط الشرعية في الفهم، والتلقي، والعمل، بهذه الأمور تؤدي جزماً إلى هذا القصور والخلل الذي نعيشه . ولا بد النهوض بالأمة من هذه الكبوة ولن يكون إلا وفق الأسس والقواعد الشرعية، وعلاقة الإنسان بخالقه وعلاقته المبنية على الصدق والحب والإخلاص^(٤)، و «إذا أردنا فهم الفكرة التي يكونها المجتمع عن نفسه وعن العالم الذي يحيط به فعلاً فلا بد لنا من دراسة طبيعة هذا المجتمع ومعرفة البيئة التي يعيش

المبادئ والقيم عندهم^(١) وإقامة مواقع على شبكة الانترنت تعنتني بحفظ وفهم كتاب الله عز وجل وهدى نبيه الكريم وذلك بأن يخصص فترة زمنية لحفظ ودراسة سورة معينة ويقوم أو حديث نبوي شريف وبإشراف ومتابعة . وهذا بالطبع يستدعي ملاحظة دقيقة ومتابعة مستمرة لهذه الصورة مع الاستمرار في التحسين حتى لو كانت جيدة ابتداءً هناك علاقة وثيقة بين الإعلام والخطاب التربوي وما يبثه من رسائل وبين الصورة الذهنية لدى الأفراد في المجتمعات .

وسائل الإعلام أهم مصادر المعرفة والثقافة الجماهيرية، حيث إن الكثير من القيم والمبادئ والسلوكيات مصدرها الإعلام تأكيداً أو إضافة أو تعديلاً. أيضاً تمثل وسائل الإعلام ذروة الإشباع النفسي للأفراد في جانب المتعة المجردة أو المتعة المعرفية ويمثل القدرة على الانتقاء واختيار المواد الإعلامية المناسبة للفرد قوة إضافية في التأكيد على التأثير التراكمي لوسائل الإعلام وبالتالي بناء الصور الذهنية المتعددة، ويمثل هذا الدور مستوى عالياً من السيطرة على عقل المستقبل من خلال الحث والإثارة للوصول لمرحلة الإقناع الذهني وقد لا يحتاج الأمر في كثير من الأحيان للبراهين والأدلة التكرار^(٢)

(١) أساليب جديدة في تعليم القرآن الكريم لخالد المشعبي،

ص ٥ .

(٣) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي : ١ / ٨٧٣ .

(٤) محمد ﷺ لمصطفى محمود : ١ / ٧١ .

(٢) تشير بعض الدراسات إلى أن ٧٠٪ من الصور الذهنية للأفراد مصدرها الإعلام وبخاصة التلفزيون .

فيها لا طبيعة أفرادها فقط ونحن نعلم أن البيئة الاجتماعية في العراق تكونت من نسيج رفيع المستوى والقدر من العرب والشعوب الأخرى الموجودة في بغداد وغيرها، وتفاعلها في كل المواقف، وهو يتشرب في هذه البيئة العقيدة والسلوك والآداب والعادات والتعامل، حتى تتطبع نفسه بهذه البيئة، وما يحمله من مقومات الشخصية المسلمة

وفي ضوء المنهج التربوي القرآني نستطيع ان نميز الخصائص التربوية حيث تميز الشمول، والتنوع، والتوجيه إلى القضايا والموضوعات الهامة، كما يمكن تميز الفرد باهتمامه بالجانب الإيماني الذي هو أهم جوانب الشخصية الإنسانية^(١)، وتشكل بذلك سلوك الأفراد، وتصنع القواعد الأساسية لهذا البناء، ذلك لأن البيئة لها مخاطرها على الصحة والمرض. وتهتم التنمية المستدامة بالطفل المعاق باعتباره طاقة بشرية معطلة تحتاج إلى تنميتها للاستفادة بكل الطاقات البشرية وحتى لا تكون عبئاً على التنمية ويتم ذلك عن طريق رعاية الطفل المعاق وتدريبه لتحويله إلى طاقة فاعلة في حدود قدراته وإدماجه وإعادة انتمائه إلى المجتمع وتحسين علاقاتهم، فإن الأبناء يستقون من الخصائص النفسية والعقلية والأخلاقية ما يمكنهم من

التوافق الاجتماعي السليم^(٢). البيئة الاجتماعية المحيطة لها دور فعال ومهم في صناعة الرجال وبناء شخصيتهم، ومثال ذلك الحسن بن علي عليه السلام مثالا يقتدي به في الصلاح، عاش في زمن ساد فيه الصحابة، والرعييل الأول الذي تربي على يدي رسول الله ﷺ، فهيمت الفضيلة والتقوى والصلاح على ذلك المجتمع الفريد، وكثر الإقبال على طلب العلم والعمل بالكتاب والهدي النبوي فهذه الحالة دفعت الحسن بن علي إلى الاستفادة والاقتداء بالمجتمع الذي يعيش فيه الصحيح والمريض دون وجود فوارق بينهم، وإن مجتمعاً عاش فيه الرسول ﷺ وتربي فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس، لهو مجتمع لا يدانيه أي مجتمع آخر، فقد شاهد هذا المجتمع الوحي وصاحب الدعوة، ولازم رسول الله ﷺ، فكان لهذه الملازمة والصحة آثار نفسية ومعان إيمانية وتعلق روحي، فكان هذا المجتمع محل جذب الناس والتأثير فيهم بالسلوك والقول والخلق الحسن، وأن هذا المجتمع له قوة التأثير في صياغة شخصية الفرد التربوية والعلمية. نقول إن أهم مراحل العمر في التنشئة الاجتماعية هي: الطفولة والمراهقة ودور الأسرة في هذه المظاهر، هو الاهتمام بذات الطفل وإمكاناته واستعداداته وقدراته وفي حالة وجود اضطرابات التنشئة الاجتماعية في

(١) السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم لضليمي،

(٢) تنمية المهارات والقدرات لنادي، ص ١٢٥.

الأسرة، وسوء التوافق الاجتماعي كأن يصاحب الطفل أقران السوء، بأن ينشأ في ظل علاقات اجتماعية مضطربة القيم والمفاهيم والسلوك، أو حرمان الطفل من المثيرات الثقافية والعقلية، وان عجزت الذات من خلال القيمة عن تحقيق التميز والتفرد لسبب ما فان القيمة تتعد عنها والوسيلة الموصلة بعد ذلك لا تهم^(١).

ان التربية اول دعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وحين توجد القوة العاشمة التي تصد عن سبيل الله تجد من يدافعها دون منهج الله في الحياة^(٢)، هذا الوسط يتمثل في ميزان واحد تقوم به كل ما يعرض لها في الحياة، وتتحاكم إلى شريعة واحدة من عند الله، وتتجه بولائها كله إلى القيادة القائمة على تحقيق منهج الله في الأرض . . . ومشاعر الإيثار . الإيثار المنطلق في يسر، المندفع في حرارة، المطمئن الوثائق المرتاح وتبقى الأسرة هي الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته، والجماعة التي يربطها أمر مشترك، والأسرة هي أصغر وحدة في نظام البيئة الاجتماعي، ويختلف حجمها باختلاف النظم الاقتصادية. ومن البيئة الاجتماعية تنطلق المثل العليا فلننظر إلى البيئة العربية قديما كانت بيئة نخوة ونجدة كالأحسان بكل جوانبه للصغير والكبير وأعلاها، الإحسان إلى الآباء والبر بهم،

فجعل الله جل علاه عقوق الوالدين في مرتبة تلي مرتبة الشرك بالله، فقال تعالى [وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً]^(٣). نحن الآن نحتاج إلى عدة عوامل لبناء الشخصية المتزنة في المجتمع، كانت حياة المصلحين والقادة العظام من آل بيت النبوة عليهم السلام، الذين نشروا هذا الدين بما تضمنه من عقيدة ومبادئ وقيم وأخلاق وآداب وعادات، وفي التجربة العملية الفريدة التي تمت في حياة المسلمين في الصدر الأول، وهي غنية تمام الغنى بمادة الإعداد، وروافد التكوين، ولكنها كنوز مهمة وثروة معطلة^(٤). فالذي اشتغل في البحث عن مساوي الناس، وإتباع عوراتهم، وترك عيبه كان كالذباب الذي لا يعرج على المواضع السليمة من الجسد، ولا ينزل عليها، وإنما يقع على القروح فيدميها، فالعاقل السعيد من نظر في عيبه، وشغل بذلك عن عيوب غيره وكذلك من مساوي الأخلاق التي تورث التباغض والتقاطع، إنها من المعاول الرئيسة في هدم البيئة الاجتماعية، فالغيبة بالقلب حرام كما هي باللسان، وحرام إلا أن يضطر لمعرفته،

(٣) سورة الإسراء، الايات: ٢٣-٢٤.

(٤) موسوعة البحوث والمقالات العلمية للشحود : ٢ / ٢.

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب : ٧ / ٨٦ .

(٢) ذوو الاحتياجات الخاصة لمهدي القصاص : ١ / ٨٠ .

بحيث لا يمكنه التجاهل، فحد الغيبة كما بينه رسول الله ﷺ وهو أن تذكر أخاك بما يكره إن بلغه أو سمعه، وإن كنت صادقاً سواء ذكرت نقصاً في نفسه، أو عقله أو ثوبه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في داره، أو في ولده أو بشيء ما يتعلق به، واستمع إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: ((كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه))^(١).

* * *

خلاصة القول نحن نريد من الخطاب الإسلامي أن يشعر بعظم المسؤولية الملقاة على عاتق العاملين به، فهم الذين يوجهون الأمة وينيرون لها السبيل بالخلق وحسن الإدراك والتوجيه والثقافة والإخلاص لعقيدهم وهدى نبهم. ومن هذا المنطق لا بد وأن تكون الأمة على بينة من أمرها، وينبغي للخطاب التربوي أن يتحلى بالصدق والأمانة. فالصدق بالقول والأمانة في التوجيه بحيث لا يؤخذ عليهم التهويل أو التصغير في الأمور، حتى لا تضطر الأمة لاستقاء أنبيائها وأخبارها من مصادر العدو الذي يظللها ويقودها إلى الشك والتفكك كما هو حادث اليوم لشديد الأسف كذلك ينبغي أن يكون الخطاب التربوي مرآة لماضينا كما يكون وجهنا لحاضرنا. وإن يتجدد الخطاب التربوي بأساليب العصر وهذه في حقيقتها قضية مثارة في محافل الرأي والإعلام ومعلوم

(١) صحيح الجامع للالباني، (٧٢٤٢).

وهي نواته الصغرى التي تقوم عليها كيانه، وأي خلل يصيب الأسرة ينعكس على المجتمع سلباً، وأي صلاح وصلاح يمس الأسرة يعود على المجتمع بالإيجاب، لذلك فتقدم مجتمع ما رهين بسلامة الأسرة فيه، وتخلف مجتمع ما وانحطاطه رهينان بفساد الأسرة فيه.

لقد اهتم الإسلام بـ«المجتمع» في أسرته، واهتم بالأسرة فيه، فقعد قوانينها وأرسى دعائمها على أسس مستقرة ثابتة ورصينة .

كما ان العوامل الروحية والبصيرة الدينية فوق كل ذلك ولها موقع مهم تستحقه في المؤسسة العلمية، وسوف نتناول ذلك في القسم الأخير. نحن لا نهدف إلى الخوض في تفاصيل النمو السكاني والتطور التقني المتسارع، والطفرة في وسائل الاتصالات وفي الأموال، وظهور المؤسسات متعددة الجنسيات، والصراعات العسكرية وعدم الأمان، والتطور المذهل في التقنية الحيوية وفي تقنيات الإنسان الآلي.

الخاتمة

ويمكننا الوقوف فيها عند أبرز النتائج حيث يمكننا القول:

في نهاية هذه الدراسة ان الرسائل السماوية في حقيقتها ضرورة اجتماعية، تتوق إليها البشرية في مختلف العصور، إذ هي رحمة الله بخلقه، ومعالج الطريق المستقيم إليه، وعدله الذي تنسم البشرية في ظلها عبير الحرية، وتنفيماً لظلال الأمن والعدل والسلام، ولذا جرت سنة الله في خلقه أن يبعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى توحيدهم وطاعته ومخافته في التعامل مع خلقه ويقيم لهم شريعة عادلة .

إن مصطلح العلوم الاجتماعية من المصطلحات التي كثر استعمالها اليوم، وهو يدرس: «قبول اختلاف الآخرين، سواء في الدين أم العرق أم السياسة، أو عدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين، أو إكراههم على التخلي عن آخريتهم».

* * *

أو هو: «موقف يتجلى في الاستعداد لتقبل وجهات النظر المختلفة فيما يتعلق باختلافات السلوك والرأي دون الموافقة عليها. ويرتبط بالأسرة والتسامح بسياسات الحرية في ميدان الرقابة الاجتماعية، حيث يسمح بالتنوع الفكري والعقائدي .

والأسرة هي الحلقة الأولى في المجتمع،

٨. الشعبي، خالد، أساليب جديدة في تعليم

القرآن الكريم، بيروت، ٢٠١٤م.

٩. صمب، انجوغو امبكي، أروع القيم

الحضارية في سيرة خير البرية، د، م، د، ت.

١٠. ضليمي، احمد عبد الفتاح، السؤال في

القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم، الناشر:

الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ.

١١. الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري

من كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن،

تحقيق: احمد محمد شاكر، الطبعة الاولى،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٢. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار

الشروق للنشر، القاهرة، ٢٠١٩م.

١٣. القصاص، مهدي محمد، التمكين

الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة: دراسة

ميدانية، القاهرة، د، م.

١٤. محمود، مصطفى، محمد ﷺ، د، م،

٢٠٠٢م.

١٥. النادي، آمنة حسن، تنمية المهارات

والقدرات العقلية عند الطفل، الطبعة الاولى، دار

المستشارون، د، م، ٢٠١٤.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الالباني، محمد ناصر الدين، صحيح

الجامع للالباني، اشرف على طبعه: زهير

الشاويش، الطبعة الثالثة المكتب الاسلامي،

د، م ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢. امام، ابراهيم، دور الإعلام في التضامن

الإسلامي، طبعة السنة السادسة عشرة، العدد

الواحد والستون، الجامعة الاسلامية بالمدينة

المنورة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣. ايكس، الفريد، الاقتصاد العالمي المعاصر

منذ عام ١٩٨٠، ترجمة: احمد محمود، الطبعة

الاولى، المركز القومي للترجمة، د، م، د، ت.

٤. الجصاص، احمد بن علي الرازي

ابو بكر، احكام القرآن، تحقيق: محمد صادق

قمحاوي، دار احياء الكتب العربية، مؤسسة

التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٥. سيد طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط

للقران الكريم، الطبعة الاولى، دار نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.

٦. الشحود، علي بن نايف، الخلاصة في

الشمائل المحمدية، مكتبة جامعة دمشق

الالكترونية، د، ت.

٧. الشحود، علي بن نايف، موسوعة البحوث

والمقالات العلمية، المكتبة الشاملة.

* * *